

## تسيير المادة الأثرية ( المعطيات الأثرية )

### I - دورة المادة الأثرية:

#### 1 - مرحلة الصنع والاستعمال:

تعتبر هذه المرحلة هي المرحلة الأولى، والتي يتم خلالها إيجاد (تشكيل) مثلا الآنية بموجب مزج مجموعة من المواد مع تعريضها إما للحرارة أو الهواء، لكي تأخذ الصفة المطلوبة للمادة الأولية، ولإعطائها الشكل المناسب لها، والذي يؤدي الغرض المطلوب من الآنية، مع إضفاء بعض الزخارف الهندسية أو النباتية عليها لتزيينها وتلوينها. وبعد أن يتم صنعها تستعمل الآنية بصفة دائمة في الغرض المطلوب منها إلى أن يتم الاستغناء عنها إما لظهور وتشكيل آواني أحسن منها سواء في الشكل أو في تقنية الصنع أو في الإضافات التزيينية، أو عدم الرغبة فيها مطلقا أو بفعل تآكلها نظرا لطول الاستعمال، أو بسبب تكسرها و تهشيمها أو تشققها مما يعمل على إفقاد الآنية دورها الأساسي الذي شكلت وصنعت لأجله، ومنه تهمل الآنية وترمى لعدم الاستفادة من خدماتها، وبهذا تدخل الآنية في المرحلة الثانية.

#### 2 - مرحلة الاستغناء والتدهور:

تمثل هذه المرحلة البداية الحقيقية للقى الأثرية، بحيث يتم الاستغناء عن الأواني التي لا تؤدي الغرض المطلوب منها، كما أسلفنا سابقا، مما يعرضها لعدة عوامل، والتي تفقدها بعض خصائصها بفعل التأثير السلبي لعوامل التلف التي تحيط بها - في أغلب الحالات - وتُغطى الأواني بالتربة بمساعدة عوامل طبيعية أو بشرية ( عوامل الدفن أو الطمر)، لتبدأ الأواني في لعب الدور الذي تحافظ به على تكوينها الكيميائي وتعمل على الاستقرار الكيميائي بينها وبين المحيط الخارجي الذي يحيط بها، مما قد يفقدها العديد من الخصائص سواء كانت الكيميائية أو الفيزيائية أو الميكانيكية، إلى أن تستقر كيميائيا.

#### 3 - مرحلة التنقيب والكشف:

يتم التنقيب عن الآثار نظرا لوجود دلائل واضحة التي تبين وتدل عليها، مما يحتم علينا أخذ جميع الاحتياطات اللازمة لتجنب زيادة التدهور ونتائج التآكل الذي يمكن أن يؤدي إلى فقدانها كليا أو جزئيا، وذلك نظرا لتعرضها لمحيط جديد، ومخالف للمحيط الذي دفنت أو طمرت فيه لعشرات السنين، لتبدأ اللقى في مرحلة التفاعلات الجديدة الخاصة بهذا المحيط، وهو ما يؤدي إلى تنشيط كل التفاعلات الكيميائية بمساعدة عوامل المحيط الجديد، لذا وجب على المنقب أن يعي كل هذه النقاط الخاصة بهذه المرحلة الحساسة من دورة اللقى الأثرية.

## - تصنيف اللقى الأثرية:

يعتبر التصنيف عملية مهمة جدا في المجال الأثري، والذي يتم من خلاله الاستفادة من الدراسة الأثرية التي تتم على اللقى الأثرية، وعليه فإن المنهجية المتبعة في تصنيف اللقى الأثرية تختلف باختلاف المدارس التي تدرس هذه المادة أو تلك، وذلك لاعتبار أن التصنيف والتحليل العمود الفقري في أساسيات منهجية النشر العلمي، والتصنيف يقتضي بشكل عام وضع المادة في مجموعات ترتبط مكوناتها بخصائص متجانسة<sup>(1)</sup>، وتصنف اللقى الأثرية في غالب الأحيان إما حسب نوعية المادة المصنوعة منها و تقنية الصنع، غير أن هذا التصنيف غير ثابت وذلك نظرا إلى التطور المستمر في العلوم وهو ما يحتم علينا دائما مراجعة بعض التصنيفات التي عملنا بها سابقا، كلما جد جديد في الميدان العلمي، وإن من بين طرق التصنيف التي تستخدم بشكل واسع، والتي أجملها الأستاذ " عزت زكي قادوس" في كتابه علم الحفائر وفن المتاحف هي :

### 1- التصنيف النوعي:

يتطلب هذا النوع من التصنيف، أن يقوم الباحث بفرز كمية المادة الأثرية التي تتوفر لديه في مجموعات أثرية اعتمادا على نوع المادة المستخدمة في الصناعة، فيقوم بوضع اللقى الحجرية على حدة واللقى المعدنية على حدة وهكذا، كما يجب أن يراعى التقسيم الزمني إذا كانت كمية اللقى الأثرية قد أتت من حفريات يتوفر فيها طبقات استيطان متعددة، وفي هذه الحالة لا بد أن يتم التصنيف على مادة الطبقة الواحدة فقط.

### 2- التصنيف الزمني:

عندما يكون العمل الأثري الذي نتجت اللقى الأثرية على أثره عملا تنقيبيا، فلا بد للباحث أن يلجأ إما إلى هذا النوع من التصنيف كمرحلة أساسية تقوم عليها الدراسات اللاحقة، وبدونه فإن الدراسة الأثرية لا معنى لها وسوف تصل إلى طريق مسدود، ولا يسمح باستخلاص المعلومات من اللقى الأثرية، وهذا التصنيف يعتبر منهجا تنظيميا يضع الخطوط العريضة للعمل بحيث يتم وضع اللقى الأثرية بتنظيم تتابعي ووفقا لظهورها في الطبقات الأثرية المكتشفة. فبعد تنقيب الموقع وبداية الدراسة الشاملة، فيبدأ بوضع مثلا مادة الألف الرابع لوحدها، والألف الثالث لوحدها [...] بغض النظر عن نوع اللقى لأن الرابطة العامة هنا هي

الرابطة الزمنية التتابعية، وبعد ذلك تتم دراسة اللقى في كل فترة على حدة، وباتخاذ طرق تصنيف أخرى تملئها الحاجة وطبيعة اللقى.

### 3 - التصنيف التقني:

يستخدم هذا النوع من التصنيف في دراسة نوع واحد من اللقى الأثرية، بغرض دراستها دراسة تفصيلية لمعرفة تطور صناعة نوع من المواد، فمثلا لو استخدم التصنيف النوعي لوضع إطار العام للدراسة، ووضعت الأدوات الحجرية على حدة، لأمكن فيما بعد استخدام التصنيف التقني بهدف معرفة تطور صناعة تلك الأدوات، وبموجب ذلك يمكن وضعها في إطار زمني أدق من ما تم تحقيقه.

### 4- التصنيف الشكلي:

يعتني التصنيف الشكلي بفرز اللقى الأثرية ذات الطبيعة الواحدة إلى أنماط وفقا لتشابه أشكالها، ويعني هذا إمكانية متابعة تطور شكل من الأشكال طوال فترة استخدامه وملاحظة التحولات والإضافات التي تحدث له، ويكون هذا النوع من التصنيف ذو فائدة إذا ارتبط برابطة زمنية ومكانية.

### التصنيف الإحصائي:

يستخدم هذا النوع من التصنيف في الدراسة نوع واحد من المادة الأثرية يربطها وقوعها في نمط واحد، ويجري تنفيذه من خلال إحصاء خصائص معينة من قطعة لأخرى، ثم النظر في مقدار الوجود والغياب وبمقتضى ذلك يمكن استنتاج التحولات والتغيرات خلال فترة إنتاج ذلك النمط.

### 6- التصنيف الزخرفي :

يقتضي هذا النوع من التصنيف استخدام العناصر الزخرفية ذات الطبيعة الواحدة وهي المعيار الرئيسي، ويطبق على النمط الواحد، بعد تعيينه من خلال استخدام طرق تصنيف أخرى، وعليه يمكن فرز مكونات النمط الواحد إلى وحدات أصغر وفقا لأنواع عناصرها الزخرفية، وبهذا يتوصل الباحث إلى هرم زمني تبعا لتنوع وتطور تلك العناصر. وهناك طرق أخرى للتصنيف يمكن استخدامها، ولكن لا بد أن تتوافق مع هدف الباحث ونوعية اللقى الأثرية التي يتعامل معها، وكمية المادة الموجودة لديه، والتصنيف في الآثار<sup>(2)</sup> يقوم على أسس مختلفة كالوظيفة أو الاستعمال أو مادة الصنع أو الوزن ووحدة التصنيف الأساسية في

الآثار هي النمط **Type** ، وهو صيغة مجردة وبناء مثالي أو نموذج تجريدي لتسهيل عملية التحليل، فإذا كان الأثري ينقب عن العينات والنماذج فإنه يحلل الأنماط، وهناك أربعة أنواع من الأنماط المستخدمة في الآثار:

**1- النمط المورفولوجي :** ويصف المظهر الكلي العام للشيء المصنوع، ويهتم بالعموميات مركزا على الصفات المشتركة لكثير من الأشياء المتشابهة.

**2- النمط الوظيفي:** وهو يعتمد على تحديد الوظيفة من شكل الشيء، وفي حالة وجود قرائن يسهل معرفة الوظيفة، كما أن ملاحظة شكل الأداة يكشف عن وظيفتها.

**3- النمط الزمني:** يشير إلى مجموعة من الأدوات ذات نمط مورفولوجي واحد وذات مدى زمني ثابت ومحدد إما قديم جدا أو حديث، ولتحديد النمط يصف الباحث الأدوات وصفا تفصيليا ثم يصفها مورفولوجيا، ثم يضعها في علاقات زمنية، ويعتبر الفخار أكثر المواد التي تعطي الأثري أكثر المحددات الزمنية تأثيرا.

**4- الأنماط الإدراكية أو المعرفية:** وتعني التعرف على أفكار الذين صنعوا الأدوات واستخدامها، فالدراسات الأثرية تبدأ بالأداة المصنوعة . كما يمكن تصنيف اللقى الأثرية حسب، القيمة الأكاديمية للقى وتاريخها وأصالتها وصفاتها الجمالية وقيمتها ومن الذي قدمها...الخ ، بحيث تقسم إلى أربعة أنواع وذلك حسب نظر القائمين على المتحف، من ناحية حفظ وصيانة أفضل مجموعات مقتنيات بأنسب طريقة وهي :

**أ- ذات القيمة الهامة:** أي قطعة تتمتع بمكانة عالية في مجموعة المقتنيات تبعا لمدى نفرتها وندرتها وحالتها وجمالها وقيمتها، ويدخل في هذه الفئة القطع الفريدة من نوعها.

**ب- ذات القيمة المعنوية:** وهي القطع ذات القيمة الكبيرة بالنسبة للمقتنيات، وإن كانت أقل مستوى من الفئة (أ)، والقطع المنفردة في المجموعات الكبرى، والتي تنخفض قيمتها النسبية إذا وجدت منفردة، وهذه الفئة تساهم في تميز المجموعة وربما تعد جوهر المجموعة.

**ج- ذات القيمة الثانوية:** وهي مجموعة تضافي على مجموعة المقتنيات الكلية عمقا، أو تضافي عليها مغزى أكبر للإطار العام، وربما تكون أقل تمثيلا للنمط، ولكنها ذات أهمية ذاتية بسيطة وربما كانت من القطع التي يندر عرضها، ولكنها ذات فائدة للباحثين، وقد تشكل جزءا هاما في محفوظات المتحف.

**د- الزائدة:** وهي ما تبقى بعد ذلك، وقد يبدو في ذلك بعض المبالغة، وما يتعدى ذلك فليس له أي أهمية تذكر، فهناك مثلا القطع التي لا تناسب الإطار العام لمجموعة المقتنيات،

وكان يتعين عدم إدخالها منذ البداية ضمن المجموعة، وكذلك يمكن أن تشمل هذه الفئة القطع المحطمة والغير قابلة للترميم. وهذا التقسيم يدعو لاتخاذ قرارات تستلزم وقتا وجهدا كبيرين، بوصف حالة كل قطعة، بحيث يتكون في هذا الجانب نظام الأولويات بين مجموعة المقتنيات، وقد يكون لذلك بعض الخطورة، لأنه يقودنا بدون شك إلى مشكلة الفصل في التقييم، أو القضا من قيمة بعض المقتنيات وتخزينها في أماكن للقطع الأكثر أهمية.